المرافقة التربوية للمتعلم: تأصيل مفاهيمي وتحليل الأسس والوظائف التربوية

Educational Support for Learners: A Conceptual Grounding and Analysis of Its Educational Foundations and Functions

مصطفى سليم هدار *[1]

[1] جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، mustapha.heddar@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام:13-02-2026 تاريخ القبول: 28-06-2026 تاريخ النشر: 04-08-2026

ملخص: تهدف هذه المقالة إلى تقديم قراءة تحليلية للمرافقة التربوية بوصفها أحد المداخل الحديثة في العلوم التربوية، من خلال الوقوف عند مفهومها وضبطه اصطلاحيًا، والكشف عن أسسها النظرية والبيداغوجية، مع إبراز وظائفها التربوية في دعم العملية التعليمية–التعلمية. وتنطلق المقالة من اعتبار المرافقة التربوية تحولًا نوعيًا في أدوار الفاعل التربوي، حيث لم تعد تقتصر على التوجيه أو الإشراف التقليدي، بل أصبحت عملية تفاعلية تشاركية تقوم على الدعم، والمتابعة، والتقويم، وتمكين المتعلم من بناء تعلمه ذاتيًا. كما تناقش المقالة الأسس النفسية والتربوية والاجتماعية التي تستند إليها المرافقة التربوية، مثل التعلم البنائي، والفروق الفردية، والتعلم المتمركز حول المتعلم. وتخلص الدراسة إلى أن المرافقة التربوية تمثل أداة فعالة لتحسين جودة التعلم، والحد من الصعوبات الدراسية، وتعزيز الدافعية والاستقلالية لدى المتعلمين، بما يجعلها ركيزة أساسية في النظم التعليمية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية :المرافقة التربوية، الدعم التربوي، التعلم المتمركز حول المتعلم، الإشراف التربوي، الجودة التعليمية.

Abstract: This article aims to provide an analytical reading of educational accompaniment as one of the modern approaches in educational sciences, by defining its concept, clarifying its theoretical and pedagogical foundations, and highlighting its educational functions in supporting the teaching–learning process. The study views educational accompaniment as a qualitative shift in the role of the educational actor, moving beyond traditional supervision and guidance toward a participatory and interactive process based on support, follow-up, evaluation, and learner empowerment. The article also discusses the psychological, pedagogical, and social foundations underlying educational accompaniment, such as constructivist learning, individual differences, and learner-centered approaches. The study concludes that educational accompaniment constitutes an effective tool for improving learning quality, reducing learning difficulties, and enhancing learners' motivation and autonomy, making it a fundamental pillar of contemporary educational systems.

Keywords: Educational accompaniment, educational support, learner-centered learning, educational supervision, educational quality.

*المؤلف المراسل .

1. مقدمة:

شهدت المنظومات التربوية في العقود الأخيرة تحولات عميقة مست مختلف مكونات العملية التعليمية–التعلمية، سواء على مستوى الأهداف، أو المناهج، أو أدوار الفاعلين التربويين. وقد أفرزت هذه التحولات حاجة ملحّة إلى تجاوز النماذج التقليدية في التدريس، التي كانت تركز على التلقين والضبط الخارجي، نحو مقاربات حديثة تجعل من المتعلم محورًا أساسيًا في بناء التعلم، وتمنح للمعلم أدوارًا جديدة تقوم على الدعم والتوجيه والمصاحبة التربوية. وفي هذا السياق، برز مفهوم **المرافقة التربوية** بوصفه أحد المفاهيم الحديثة التي لاقت اهتمامًا متزايدًا في الأدبيات التربوية المعاصرة.

وتُعد المرافقة التربوية استجابة تربوية للتحديات التي تواجه المدرسة الحديثة، مثل تنامي الفروق الفردية بين المتعلمين، وارتفاع نسب التعثر الدراسي، وتزايد المشكلات السلوكية والنفسية، إضافة إلى ضعف الدافعية نحو التعلم. ولم يعد الدور التربوي مقتصرًا على نقل المعرفة أو مراقبة الأداء، بل أصبح يتطلب بناء علاقة تربوية داعمة تقوم على التفاعل، والإنصات، والمتابعة المستمرة لمسار التعلم، بما يضمن تحقيق النمو المتكامل للمتعلم معرفيًا، ووجدانيًا، واجتماعيًا.

كما تعكس المرافقة التربوية تحولًا في الفلسفة التربوية ذاتها، إذ تنتقل من منطق السلطة والتقويم العقابي إلى منطق الدعم والتمكين، ومن الإشراف العمودي إلى العلاقة الأفقية التشاركية. وهي بذلك تستند إلى أسس نظرية متعددة، من أبرزها نظريات التعلم البنائي، والتعلم الاجتماعي، والتعلم المتمركز حول المتعلم، التي تؤكد على أهمية التفاعل، وبناء المعنى، واحترام خصوصية المتعلم وسيرورته الخاصة في التعلم.

ورغم شيوع استخدام مصطلح المرافقة التربوية في الخطاب التربوي المعاصر، إلا أن توظيفه في الممارسة الميدانية غالبًا ما يشوبه قدر من الغموض والالتباس المفاهيمي، حيث يُستعمل أحيانًا مرادفًا للإشراف التربوي أو التوجيه أو الدعم المدرسي، دون ضبط دقيق لحدوده النظرية ووظائفه التربوية. ومن هنا تبرز أهمية المعالجة المفاهيمية للمرافقة التربوية، قصد توضيح مضمونها، وتحديد أسسها، والكشف عن وظائفها في تحسين جودة العملية التعليمية.

ورغم شيوع استخدام مفهوم المرافقة التربوية في الأدبيات التربوية المعاصرة، فإن توظيفه لا يزال يشوبه قدر من الغموض والالتباس المفاهيمي، حيث يستعمل أحياناً مرادفاً للإرشاد النفسي أو التوجيه التربوي أو الدعم المدرسي، في حين أن لكل مفهوم خصوصيته النظرية والوظيفية. ومن ثم تبرز الحاجة إلى تأصيل مفهوم المرافقة التربوية وضبط حدوده المعرفية والعملية، خاصة في علاقته بالمتعلم باعتباره المستفيد الرئيس من عملية المرافقة.
وانطلاقاً من ذلك يسعى هذا المقال إلى الإجابة عن التساؤل الآتي: ما المقصود بالمرافقة التربوية الموجهة للمتعلم؟ وما الأسس النظرية التي تقوم عليها؟ وما الوظائف التربوية التي تؤديها في دعم تعلمه وتحسين أدائه الدراسي؟

2. المرافقة التربوية: التأصيل المفاهيمي

1.2. الأصل اللغوي للمرافقة

المرافقة مشتقة من الفعل "رافق"، أي صاحب وسار مع غيره، ومنه الرفيق والمرافق، وهي تدل على المصاحبة والملازمة في الزمن والمكان..

2.2. التعريف الاصطلاحي للمرافقة التربوية

عرّفتها **Martine Beaudis** بأنها عملية تهدف إلى مساعدة الفرد على السير نحو تكوين نفسه، سعيًا لبلوغ أهدافه ويعرّفها بأنها متابعة مؤطَّرة لتوجيه الطالب ابتداءً من دخوله الجامعة.

ظهر مفهوم المرافقة (Accompagnement) في الحقول الاجتماعية والتكوينية والصحية قبل انتقاله إلى المجال التربوي. وقد ارتبط بفكرة السير مع الفرد ومساندته خلال مساره الشخصي أو المهني دون فرض توجهات جاهزة عليه.

ويعد Paul (2004) من أبرز الباحثين الذين أسهموا في تأصيل مفهوم المرافقة، إذ يرى أنها وضعية مهنية تقوم على "السير مع الشخص" ومساعدته على بناء مساره الخاص واتخاذ قراراته بصورة مستقلة.

ويظهر من هذا التعريف أن المرافقة لا تقوم على الوصاية أو التوجيه المباشر، بل على بناء علاقة تشاركية تجعل المتعلم فاعلاً في مسار تعلمه، وهو ما ينسجم مع المقاربات البنائية الحديثة في التربية.

يتضح من هذا التصور أن المرافقة تختلف عن التوجيه أو الإرشاد؛ فالإرشاد يركز على تقديم النصح والحلول، بينما تقوم المرافقة على الدعم والمصاحبة وتمكين الفرد من اكتشاف موارده الذاتية واتخاذ قراراته بنفسه

في حين يرى **حسين عبد العظيم طه** (2004)أنها عملية بناء تهدف إلى مساعدة الفرد في فهم ذاته وتنمية إمكانياته لحل مختلف مشكلاته في ضوء معارفه وتدريبه، وصولًا إلى أهدافه المأمولة (طه، 2004، ص. 16).

كما يعرفها **حسين عبد العزيز** (2018)بأنها عملية مرافقة نفسية تربوية تهدف إلى دعم التلاميذ في مؤسسات التعليم الثانوي العام والتكنولوجي (عبد العزيز، 2018، ص. 104)

المرافقة التربوية هي عملية تربوية نفسية ممنهجة ومستمرة، تقوم على علاقة تفاعلية داعمة بين المرافق والمتعلم، وتهدف إلى مساعدة الفرد على فهم ذاته وتنمية إمكاناته الداخلية، وتمكينه من مواجهة الصعوبات التعليمية والحياتية، وتحقيق تقدمه الدراسي وبناء مساره التكويني بصورة واعية ومستقلة، من خلال المتابعة المنظمة، والدعم، والتوجيه، والتقويم، في إطار يحترم خصوصية المتعلم ويعزز قدرته على الاعتماد على نفسه وتحقيق أهدافه التعليمية.

3.2. تمييز المرافقة التربوية عن المفاهيم المتقاربة

على الرغم من شيوع استخدام مفهوم المرافقة التربوية في الأدبيات التربوية المعاصرة، إلا أنه كثيراً ما يختلط بمفاهيم أخرى مثل الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي والإشراف التربوي والدعم المدرسي. ويقتضي التأصيل العلمي للمفهوم توضيح أوجه الاتفاق والاختلاف بينه وبين هذه المفاهيم.

فالإرشاد النفسي عملية مهنية تهدف إلى مساعدة الفرد على فهم ذاته ومشكلاته وتحقيق توافقه النفسي والاجتماعي من خلال أساليب وفنيات إرشادية متخصصة (زهران، 1980). أما التوجيه التربوي فيركز على مساعدة المتعلم في اتخاذ القرارات المناسبة المتعلقة بمساره الدراسي والمهني (طه، 2004).

في حين يهدف الإشراف التربوي إلى تحسين الممارسات التعليمية ومتابعة الأداء التربوي داخل المؤسسات التعليمية من خلال عمليات التقويم والتوجيه والتكوين المستمر.(Perrenoud, 1999)

أما المرافقة التربوية فتختلف عن هذه المفاهيم في كونها تقوم على المصاحبة والدعم المستمر للمتعلم خلال مساره التعليمي، من خلال علاقة تشاركية قائمة على الثقة والتفاعل والتمكين، بحيث يكون المتعلم فاعلاً أساسياً في بناء تعلمه واتخاذ قراراته، بينما يقتصر دور المرافق على الدعم والمساندة والتيسير.(Paul, 2004)

وتشير هذه الفروق إلى أن المرافقة التربوية لا تمثل بديلاً عن الإرشاد أو التوجيه أو الإشراف، بل تمثل إطاراً تربوياً أشمل يستفيد من بعض آلياتها مع احتفاظه بخصوصيته المفاهيمية والوظيفية. ولذلك فإن اختزال المرافقة في مجرد تقديم النصح أو التوجيه المباشر يفقدها جوهرها القائم على تمكين المتعلم ومصاحبته في بناء مشروعه التعليمي بصورة مستقلة.

3. عوامل نجاح المرافقة التربوية

لنجاح عملية المرافقة النفسية التربوية عوامل كثيرة، نلخص منها (فاطمة الزهراء، زهوة سهيلة، عبد الأوي، 2023، ص. 52)

- الاستعداد للمرافقة، ويكون من طرفي العملية.
- الألفة والتفاهم والوئام بين الطرفين.
- التركيز في محتوى المرافقة حول الموضوع (المشكل)، والأفكار والمشاعر التي تخص المتعلم.
- الحكمة في القول والفعل من قبل المرافق، سواء في الكلام أو الأحكام، مع التحلي بالصبر والتأثير الإيجابي.
- الإصغاء، ويرتبط به جملة من المهارات، كالاستماع الجيد، وحسن الملاحظة، والتركيز والانتباه (قولًا وفعلًا وانفعالًا).
- المسؤولية المشتركة، انطلاقًا من فهم كل طرف من الطرفين لدوره وضرورة القيام به على أكمل وجه.
- تحديد مكان وزمان عملية المرافقة بشكل مناسب، على أن يكون ذلك ضمن برنامج مسطر.
- المناخ الذي تُمارس فيه عملية المرافقة، وضرورة أن يسوده جو من الارتياح والتشجيع على الاسترخاء.
- السرية والخصوصية، بهدف رفع مستوى الثقة بين الطرفين (صياد، 2010، ص. 121)

تشير هذه الخصائص إلى أن المرافقة التربوية ليست إجراءً ظرفياً أو تدخلاً مؤقتاً، بل هي عملية مستمرة تتطلب تفاعلاً متبادلاً بين المرافق والمتعلم، بما يسمح ببناء الثقة وتحقيق النمو التدريجي للمتعلم.

4. خصائص المرافقة التربوية

يمكن إبراز بعض خصائص عملية المرافقة التربوية في النقاط الآتية:

- ❖ عملية تعاونية.
- ❖ عملية تقوم على فكرة السيرورة، مما يجعلها تتطلب وقتًا ومراحل لإنجازها.
- ❖ عملية تشاركية (محصلة لجهود جماعية).
- ❖ عملية انتقال مرتبطة بظروف ووقائع وأحداث في إطار وضعية معينة (زهران، 2003، ص. 281)

وقد أشارت بعض الدراسات إلى خصوصية علاقة المرافقة، حيث تناولت خصائص المرافقة التربوية، كدراسة نعيمة صياد التي ترى أنها:

- علاقة تربوية، وليست علاقة علاجية، وليست علاقة مساعدة بسيطة.
- علاقة تربوية تُوصَف بالطاقة البيداغوجية الرمزية.
- علاقة تربوية في الوسط المدرسي، ولا يوجد نموذجها في العلاقة الأبوية.
- علاقة تربوية هدفها المساعدة، وتكمن في التعبير عن الذات.
- علاقة تربوية هدفها المساعدة على توضيح الوضعيات الوجودية.
- علاقة تربوية هدفها المساعدة على اقتراح الحلول الممكنة.
- علاقة تربوية تُمارَس مستوحاة من شخص المرافق في أوقات ثمينة من وجود المتعلم.

- علاقة تربوية تشمل علاقة المساعدة الخصوصية وتتعداها (صياد، 2010، ص. 79–80)

كما نجد خصائص أخرى لخصها **خميس عبد العزيز** في النقاط الآتية:

- سِمة الدور الثانوي للمرافق، إذ يكون دوره في المرحلة الثانية ويأتي لاحقًا.
- تتطلب المرافقة مراحل لإنجازها، كونها عملية مستمرة (خميس، 2018، ص. 105)

5. أهداف المرافقة التربوية: نلخّصها فيما يلي:

- ❖ تقديم التوجيهات للأفراد المتعلمين خاصة.
- ❖ دمج الأفراد المتعلمين في الوسط التعليمي.
- ❖ ضمان تكوين نوعي وتقليص نسبة الإخفاق التربوي.
- ❖ التكفّل بالمتعلمين نفسيًا ومعرفيًا واجتماعيًا (بناء علاقاتهم بدقة).
- ❖ توجيه وإرشاد الأفراد ودعم الثقة بالنفس.
- ❖ تحقيق الصحة النفسية والتوافق النفسي الاجتماعي.
- ❖ تكييف طرق التعليم.
- ❖ الدعم النفسي والبيداغوجي (ص 28، وسيلة بوعلي، 2023،).

6. المبادئ الأساسية للمرافقة النفسية والتربوية

تستند المرافقة النفسية والتربوية إلى مجموعة من المبادئ الأساسية التي تؤطر ممارستها وتوجه تدخلاتها، بما يضمن تحقيق أهدافها في دعم المتعلم ومساعدته على النمو والتكيف والنجاح الدراسي. وتتمثل أهم هذه المبادئ فيما يأتي:

1.6. مبدأ البعد العلائقي

يُعد البعد العلائقي الأساس الناظم لكافة أبعاد المرافقة النفسية والتربوية، إذ لا تقوم المرافقة على السلطة أو التوجيه المباشر، وإنما على بناء علاقة إنسانية داعمة بين المرافق والمتعلم. ويكون دور المرافق قائماً على المصاحبة والمساندة خلال مسار تطوري متدرج يمر بمراحل متعاقبة تبدأ بالتعارف وبناء العلاقة، ثم المتابعة والدعم، وصولاً إلى تحقيق الأهداف المرجوة وإنهاء عملية المرافقة.

كما يبرز التعاون بوصفه مبدأ موجهاً لهذه العلاقة، حيث يشارك المتعلم بصورة إيجابية في بناء مساره الشخصي والتعليمي، مع مراعاة العوامل النفسية والزمنية التي قد تؤثر في سير المرافقة وفعاليتها.

يشكل البعد العلائقي جوهر المرافقة التربوية، لأنه ينقلها من منطق التدخل السلطوي إلى منطق الشراكة التربوية القائمة على الثقة والتفاعل الإيجابي.

2.6. مبدأ الإصغاء

يمثل الإصغاء أحد المرتكزات الأساسية للمرافقة التربوية، ويقوم على الاستماع الواعي القائم على الفهم والاحترام وتجنب الأحكام المسبقة. ولا يقتصر الإصغاء على مجرد سماع الكلمات، بل يشمل فهم المعاني والمشاعر الكامنة وراء الرسائل اللفظية وغير اللفظية.

ويتيح الإصغاء النشط للمتعلم التعبير عن ذاته بحرية، وفهم مشكلاته بصورة أفضل، كما يساعد المرافق على تشخيص حاجاته وتقديم الدعم المناسب له.

يعد الإصغاء المدخل الرئيس لبناء علاقة مرافقة ناجحة، لأنه يساعد على تعزيز الشعور بالأمان النفسي والثقة المتبادلة بين طرفي العلاقة التربوية.

3.6. مبدأ الثقة

تحتل الثقة مكانة محورية في المرافقة النفسية والتربوية، سواء تعلق الأمر بالثقة المتبادلة بين المرافق والمتعلم أو بثقة المتعلم بنفسه. وتسهم الثقة في تعزيز الشعور بالأمن النفسي، وتنمية الدافعية، وتشجيع المبادرة وتحمل المسؤولية.

كما تتأثر الثقة بالنفس بعوامل متعددة تشمل الجوانب النفسية والاجتماعية والعقلية والاقتصادية، ويمكن تنميتها من خلال توفير الخبرات الإيجابية، وتشجيع النجاح، وتعزيز تقدير الذات.

تشكل الثقة الأساس الذي تُبنى عليه مختلف عمليات الدعم والمساندة، إذ يصعب تحقيق أهداف المرافقة في غياب مناخ نفسي قائم على الاطمئنان والاحترام المتبادل.

4.6. مبدأ التعاطف

يقصد بالتعاطف قدرة المرافق على فهم مشاعر المتعلم وأفكاره وإدراك وجهة نظره دون الوقوع في التماهي الانفعالي معه. ويشمل التعاطف بعدين أساسيين هما البعد المعرفي المرتبط بفهم مشاعر الآخر، والبعد الوجداني المرتبط بالتفاعل الإنساني الإيجابي معه.

ويسهم التعاطف في بناء علاقة تربوية داعمة تساعد المتعلم على التعبير عن مشاعره، وتعزز شعوره بالتقدير والقبول.

يتيح التعاطف للمرافق فهم حاجات المتعلم بصورة أعمق، مما يزيد من فعالية التدخلات التربوية ويعزز جودة العلاقة المرافِقة.

5.6. مبدأ تنمية الاستقلالية

تستهدف المرافقة التربوية تنمية الاستقلالية الذاتية لدى المتعلم، باعتبارها قدرة على اتخاذ القرار وتحمل المسؤولية والاعتماد على النفس في مواجهة المواقف المختلفة. وتنمو هذه الاستقلالية تدريجياً عبر مراحل النمو المختلفة، من خلال إتاحة الفرصة للمتعلم للمشاركة في اتخاذ القرارات المتعلقة بتعلمه وتنظيم جهوده الدراسية.

كما تؤكد الاتجاهات التربوية الحديثة أهمية تنمية الاستقلالية باعتبارها من المؤشرات الأساسية على نجاح العملية التربوية وتحقيق التعلم الذاتي.

تعكس الاستقلالية الغاية النهائية للمرافقة التربوية، إذ تهدف إلى إعداد متعلم قادر على إدارة تعلمه واتخاذ قراراته بصورة واعية ومسؤولة.

وبناءً على ما سبق، يتضح أن مبادئ المرافقة النفسية والتربوية تشكل منظومة متكاملة ومترابطة، حيث يسهم كل مبدأ في تعزيز فعالية العلاقة التربوية وتحقيق أهدافها في دعم المتعلم وتمكينه من النمو النفسي والتربوي المتوازن.

7. الوظائف التربوية للمرافقة التربوية الموجهة للمتعلم

تؤدي المرافقة التربوية الموجهة للمتعلم مجموعة من الوظائف المتكاملة التي تستهدف دعمه خلال مساره التعليمي، ومساعدته على تحقيق التوافق المدرسي والنجاح الأكاديمي، وتنمية شخصيته بصورة متوازنة. وتتمثل أهم هذه الوظائف فيما يأتي:

1.7. الوظيفة الداعمة

تُعد الوظيفة الداعمة من أبرز وظائف المرافقة التربوية، إذ تهدف إلى توفير المساندة التربوية والنفسية والاجتماعية التي يحتاجها المتعلم خلال مساره الدراسي. وتقوم هذه الوظيفة على مساعدة المتعلم في مواجهة

الصعوبات التي تعترض تعلمه، وتقديم الدعم الملائم الذي يمكنه من مواصلة مساره التعليمي بثقة وفاعلية (Paul, 2004).

كما تتجسد هذه الوظيفة في تهيئة مناخ تربوي قائم على الثقة والتواصل الإيجابي، بما يسمح للمتعلم بالتعبير عن حاجاته وانشغالاته بحرية، ويعزز شعوره بالأمن النفسي والانتماء إلى البيئة المدرسية.(Boutinet, 2007)

وتشير هذه الوظيفة إلى أن المرافقة التربوية لا تقتصر على تقديم المساعدة الظرفية، بل تسعى إلى بناء علاقة تربوية مستمرة تجعل المتعلم أكثر قدرة على التكيف مع مختلف المواقف التعليمية.

2.7. الوظيفة الوقائية

تسهم المرافقة التربوية في الوقاية من المشكلات التعليمية والنفسية والسلوكية التي قد تؤثر في المسار الدراسي للمتعلم، وذلك من خلال الكشف المبكر عن مظاهر التعثر الدراسي وضعف الدافعية وصعوبات التكيف المدرسي (Perrenoud, 1999).

وتعمل المرافقة على متابعة المتعلم بصورة مستمرة، مما يسمح بالتدخل في الوقت المناسب قبل تفاقم المشكلات وتحولها إلى عوائق حقيقية أمام التعلم. كما تساعد في الحد من الرسوب والتسرب المدرسي وتعزيز التوافق النفسي والاجتماعي داخل المؤسسة التعليمية.(Hadji, 2012)

وتبرز أهمية هذه الوظيفة في انتقالها بالممارسة التربوية من منطق التدخل العلاجي المتأخر إلى منطق الوقاية والاستباق، بما يسهم في تحسين فرص النجاح الدراسي.

3.7. الوظيفة العلاجية

تهدف الوظيفة العلاجية إلى مساعدة المتعلم على تجاوز الصعوبات التعليمية أو النفسية أو الاجتماعية التي تعيق تعلمه وتؤثر في مستوى أدائه الدراسي. ويتم ذلك من خلال تشخيص مواطن الضعف وتحديد أسبابها، ثم وضع خطط دعم مناسبة تستجيب لحاجات المتعلم وخصوصياته.(Black & Wiliam, 1998)

وتشمل هذه الوظيفة معالجة صعوبات التعلم، وضعف التحصيل الدراسي، ومشكلات التوافق المدرسي، وبعض الصعوبات المرتبطة بالتفاعل داخل الجماعة الصفية.(Paul, 2004)

وتؤكد هذه الوظيفة أن المرافقة التربوية تتجاوز مجرد المتابعة إلى التدخل الهادف الذي يساعد المتعلم على استعادة توازنه النفسي والتربوي وتحسين أدائه الأكاديمي.

4.7. الوظيفة التحفيزية

تؤدي المرافقة التربوية دوراً أساسياً في تعزيز دافعية المتعلم نحو التعلم، وذلك من خلال تشجيعه على المشاركة الفعالة في الأنشطة التعليمية، وإبراز نقاط القوة لديه، وتنمية ثقته بنفسه وقدراته.(Rogers, 1969)

كما تساعد المرافقة على تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو المدرسة والتعلم، وتعزيز الشعور بالإنجاز والنجاح، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على المثابرة والاستمرار في بذل الجهد لتحقيق الأهداف التعليمية.(Hattie, 2009)

وتكتسب هذه الوظيفة أهميتها من كون الدافعية تعد أحد المحددات الأساسية لنجاح التعلم واستمراريته، مما يجعل المرافقة أداة فعالة لتحفيز المتعلم على الانخراط الإيجابي في العملية التعليمية.

5.7. وظيفة تنمية الاستقلالية

تسعى المرافقة التربوية إلى تنمية استقلالية المتعلم من خلال مساعدته على تحمل مسؤولية تعلمه، وتنظيم جهوده الدراسية، واتخاذ القرارات المناسبة المتعلقة بمساره التعليمي.(Paul, 2004)

وتتم هذه العملية عبر تشجيع المتعلم على التفكير الذاتي، والتخطيط لتعلمه، وتقويم أدائه، وتطوير مهارات حل المشكلات واتخاذ القرار. ويُنظر إلى الاستقلالية بوصفها أحد الأهداف الأساسية للتربية الحديثة التي تسعى إلى إعداد متعلم قادر على التعلم الذاتي مدى الحياة.(Perrenoud, 1999)

ويكشف ذلك أن المرافقة التربوية لا تستهدف تحقيق النجاح الآني فقط، بل تعمل على بناء شخصية متعلم مستقل وقادر على مواجهة مختلف التحديات المستقبلية.

6.7. وظيفة تحسين التعلم والتحصيل الدراسي

تمثل هذه الوظيفة الغاية النهائية للمرافقة التربوية، إذ تهدف إلى تحسين جودة التعلم ورفع مستوى التحصيل الدراسي من خلال توفير الدعم الملائم لحاجات المتعلم التعليمية والنفسية والاجتماعية.(Hattie, 2009)

وتساعد المرافقة على تحسين فهم المتعلم للمحتويات الدراسية، وتنمية مهاراته المعرفية، وتعزيز مشاركته داخل القسم، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على نتائجه الدراسية ومستوى أدائه الأكاديمي.(Black & Wiliam, 1998)

ومن ثم فإن أثر المرافقة التربوية لا يقتصر على معالجة الصعوبات أو تقديم الدعم المؤقت، بل يمتد إلى تحسين جودة التعلم بصورة شاملة وتحقيق نمو متكامل للمتعلم داخل المؤسسة التعليمية وخارجها.

8. تحديات تفعيل المرافقة التربوية في المؤسسات التعليمية

على الرغم من الأهمية المتزايدة التي تحظى بها المرافقة التربوية في الأدبيات التربوية المعاصرة، وما تؤديه من أدوار في دعم المتعلم وتحسين تعلمه، فإن تفعيلها داخل المؤسسات التعليمية يواجه جملة من التحديات التي قد تحد من فعاليتها وتحول دون تحقيق أهدافها المنشودة.

ومن أبرز هذه التحديات كثافة الأعداد داخل الأقسام الدراسية، الأمر الذي يصعّب على الفاعلين التربويين متابعة المتعلمين بصورة فردية ومستمرة، ويحد من إمكانية مراعاة الفروق الفردية بينهم. كما تشكل محدودية الموارد البشرية والمادية عائقاً أمام تطبيق برامج المرافقة التربوية بالشكل المطلوب، خاصة في المؤسسات التي تعاني من نقص المختصين أو ضعف الإمكانات التنظيمية.

ومن التحديات كذلك استمرار بعض التصورات التقليدية التي تختزل المرافقة في مجرد مراقبة أو توجيه أو تقديم نصائح مباشرة، في حين أن جوهر المرافقة يقوم على المصاحبة والدعم والتمكين. وقد يؤدي هذا الفهم المحدود إلى إفراغ المرافقة من مضمونها التربوي الحقيقي وتحويلها إلى ممارسة إدارية أكثر منها ممارسة تربوية.

كما أن نجاح المرافقة التربوية يرتبط بمدى تكوين الفاعلين التربويين وتأهيلهم لممارسة أدوارهم الجديدة، إذ تتطلب المرافقة امتلاك مهارات التواصل والإصغاء والتشخيص والتوجيه والدعم النفسي والتربوي، وهي مهارات لا تتحقق بصورة تلقائية، بل تحتاج إلى تكوين مستمر وتدريب متخصص.(Paul, 2004)

وتواجه المرافقة التربوية أيضاً تحديات مرتبطة بالتحولات الرقمية والاجتماعية المتسارعة، وما تفرضه من حاجات جديدة لدى المتعلمين، الأمر الذي يستوجب تطوير آليات المرافقة وأساليبها بما يتلاءم مع متطلبات البيئة التعليمية المعاصرة.

وانطلاقاً من ذلك، فإن تحقيق الفعالية المرجوة من المرافقة التربوية يقتضي توفير الظروف التنظيمية والبشرية الملائمة، ونشر ثقافة المرافقة داخل المؤسسات التعليمية، وتعزيز تكوين الفاعلين التربويين، بما يسمح بتحويل المرافقة من ممارسة نظرية إلى آلية عملية تسهم في تحسين تعلم المتعلمين والارتقاء بجودة التعليم.

9. خاتمة

تُعدّ المرافقة التربوية من المداخل الحديثة التي تهدف إلى تحسين جودة العملية التعليمية–التعلمية، من خلال الانتقال من منطق الرقابة والتفتيش إلى منطق الدعم والمساندة والتطوير المستمر. فهي عملية مهنية تشاركية تقوم على التشخيص، والتكوين، والتقويم البنائي، والدعم النفسي والمهني، بما يسهم في تنمية كفايات المعلم وتحسين أدائه داخل القسم.

وقد بيّنت الوظائف المتعددة للمرافقة التربوية – التكوينية، والتشخيصية، والعلاجية، والتحفيزية، والتنظيمية، والتقويمية، إضافة إلى دورها في دعم الابتكار وتحسين جودة التعلم – أنها تمثل آلية شاملة تستهدف مختلف عناصر العملية التربوية. فكلما تحسنت الممارسات التدريسية للمعلم، انعكس ذلك إيجابًا على تفاعل المتعلمين، ودافعيتهم للتعلم، ومستوى تحصيلهم الدراسي، مما يجعل المرافقة التربوية ركيزة أساسية في تطوير جودة التعليم.

كما تسهم المرافقة التربوية في ترسيخ ثقافة مهنية قائمة على التعاون، والتأمل في الممارسة، والتعلم المستمر، وتعزيز العمل الجماعي داخل المؤسسة التعليمية، بما يدعم بناء بيئة تربوية محفزة على التطوير والابتكار، وقادرة على مواكبة التحولات التربوية والمعرفية المعاصرة.

وعليه، فإن تفعيل المرافقة التربوية وفق رؤية منهجية تقوم على الشراكة والثقة والدعم المستمر، يعدّ مدخلًا استراتيجيًا لتحسين أداء المعلمين وتطوير المؤسسات التعليمية، والارتقاء بجودة التعلم بما يحقق تعلّمًا فعّالًا ومستدامًا.

في ضوء ما تم عرضه من معطيات نظرية حول مفهوم المرافقة التربوية وأسسها ووظائفها المختلفة، يتضح أنها تمثل آلية أساسية لتحسين الأداء المهني للمعلم والارتقاء بجودة العملية التعليمية–التعلمية. كما أن تفعيلها بشكل منهجي ومنظم يسهم في تعزيز ثقافة التطوير المستمر، ودعم الممارسات الصفية الفعّالة، والاستجابة لمتطلبات الإصلاح التربوي. وانطلاقًا من هذه الأهمية، ولضمان تحقيق المرافقة التربوية لأهدافها بكفاءة وفعالية داخل المؤسسات التعليمية، يمكن تقديم مجموعة من التوصيات العملية التي من شأنها تعزيز دورها وتفعيل آليات تطبيقها في الميدان التربوي.

1. تعزيز ثقافة المرافقة التربوية داخل المؤسسات التعليمية، من خلال ترسيخ مفهومها كعملية دعم وتطوير مهني مستمر، والابتعاد عن ربطها بالمراقبة أو التقويم الإداري فقط.
2. توفير برامج تكوين مستمر للمرافقين التربويين، بهدف تطوير كفاياتهم في مجالات الملاحظة الصفية، والتغذية الراجعة البنّاءة، والتوجيه المهني القائم على الحوار والتأمل في الممارسة.
3. اعتماد المرافقة المبنية على تشخيص الاحتياجات الفعلية للمعلمين، وذلك من خلال تحليل ممارساتهم الصفية ونتائج المتعلمين، لضمان تقديم دعم ملائم وفعّال.
4. تشجيع العمل التعاوني وتبادل الخبرات بين المعلمين، عبر تفعيل مجتمعات التعلم المهنية، وتنظيم ورشات تطبيقية، وحصص نموذجية، ومناقشات تربوية جماعية.
5. دعم المعلمين الجدد ببرامج مرافقة خاصة تساعدهم على الاندماج المهني، وتخفيف صعوبات بداية الخدمة، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم وقدرتهم على إدارة الصف.
6. توظيف التقنيات الرقمية في المرافقة التربوية، من خلال استخدام المنصات التعليمية، والمتابعة عن بُعد، وتبادل الموارد والخبرات بشكل مستمر.

7. ربط المرافقة التربوية بتحسين تعلم التلاميذ، عبر متابعة أثرها على الممارسات الصفية ومستوى التحصيل الدراسي، بما يضمن توجيه الجهود نحو تحقيق تعلم فعّال وجودة تعليم مرتفعة.

-الاحالات والمراجع

أبو جادو، صالح محمد .(2014) .*علم النفس التربوي* .عمّان، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

بوعلي، وسيلة .(2023) .*المرافقة التربوية* .الجزائر.

خميس، عبد العزيز. (2018). المرافقة النفسية والتربوية لدى التلاميذ في مؤسسات التعليم الثانوي العام والتكنولوجي من وجهة نظر مستشاري التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني .*مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 35*، 104.120-

زهران، حامد عبد السلام .(1980) .*التوجيه والإرشاد النفسي* .القاهرة، مصر: عالم الكتب.

زهرة، فاطمة الزهراء، وعبد الداوي، سهيلة .(2023) .*دور المرافقة التربوية وعوامل نجاحها* .الجزائر.

صياد، نعيمة .(2010) .*المرافقة التربوية: المفهوم والممارسة* .الجزائر.

طه، حسين عبد العظيم .(2004) .*الإرشاد النفسي والتربوي* .القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.

منسي، عبد الحليم .(2003) .*الإرشاد النفسي والتربوي* .القاهرة، مصر: دار المعرفة الجامعية.

Altet, M. (2002). *Une formation professionnelle des enseignants*. Paris, France: Presses Universitaires de France.

Black, P., & Wiliam, D. (1998). Assessment and classroom learning. *Assessment in Education: Principles, Policy & Practice, 5*(1), 7–74.

Boutinet, J.-P. (2007). *Anthropologie du projet*. Paris, France: Presses Universitaires de France.

Day, C. (1999). *Developing teachers: The challenges of lifelong learning*. London, England: Falmer Press.

Fullan, M. (2007). *The new meaning of educational change* (4th ed.). New York, NY: Teachers College Press.

Gather Thurler, M. (2000). *Innover au cœur de l'établissement scolaire*. Paris, France: ESF Éditeur.

Hadji, C. (2012). *L'évaluation des actions éducatives*. Paris, France: Presses Universitaires de France.

Hattie, J. (2009). *Visible learning: A synthesis of over 800 meta-analyses relating to achievement*. London, England: Routledge.

Paul, M. (2004). *L'accompagnement: Une posture professionnelle spécifique*. Paris, France: L'Harmattan.

Perrenoud, P. (1999). *Former les enseignants dans une société en mutation*. Paris, France: ESF Éditeur.

Rogers, C. R. (1969). *Freedom to learn*. Columbus, OH: Merrill Publishing Company.